

لكن كتاب (ابرياء في الخارج) كان بمثابة مدخل لكتابه التالي الهام ، الذي صدر عام ١٨٧٢ بعنوان (مواجهة المصاعب) ويتحدث هذا الكتاب عن رحلاته في أقصى الغرب ، ويبدأ على شكل سلسلة من المقالات الصحفية ، ويعطينا صورة واضحة عن الناس الذين يلتقي بهم : رعاة البقر ، سائقو المركبات العمومية التي تجرها الجياد ، المجرمون و « رجال القانون » . وعلى الرغم من ان هذا الكتاب ليس من الروائع التي كتبها (توين) الا انه مضحك جداً . وهي تصور حياً عديدة . وكذلك نوعاً آخر من الفكاهة والدعابة الغربية التي تسمى (حكايا لا تصدق) . ففي جزء من هذه الحكايا نجد ثوراً غاضباً يتساق شجرة ليطارد صياداً ، وفي حكاية اخرى نجد ان جملاً يحق حتى الموت بسبب إحدى ملاحظات (توين) الموجودة في دفتره .

وكانت فترة الحرب الاهلية هي الفترة التي تمكن خلالها عدد صغير من رجال الاعمال أصحاب الملايين من السيطرة على المجتمع الامريكي . وكانت بيوت الاغنياء في المدينة تشبه القصور ، حتى ان عدداً من الناس كانوا يعتقدون ان هذه الفترة هي « عصر ذهبي » جديد . غير ان الذهب كان ظاهرياً ، وفي العمق كان المجتمع الامريكي مليئاً بالجريمة والظلم الاجتماعي . وفي الحقيقة ، فان هذا العصر كان « عصرًا مظلياً بالذهب » وكان الذهب مجرد كذبة تافهة . وقد ابتدع (مارك توين) هذه العبارة من أجل روايته التالية التي صدرت عام ١٨٧٣ بعنوان (العصر المظلي بالذهب) وشاركه في كتابتها (تشارلز ورنر) . وتعد هذه الرواية من أوائل الروايات التي تحاول وصف الاخلاقيات الجديدة (أو اللأخلاق) في امريكا ما بعد الحرب . ومن العناصر الجديدة في هذه الرواية انها ترسم صورة للأمة بكاملها اكثر من كونها صورة لمنطقة